القطة الصغيرة

للاديب مصطفى محمود

أرسلت القطة الصغيرة مواء ضعيفاً وهى تتنقل بين الكراسى وتتمسح بالأرجل وتتلفت الفتات المتناثر تحت الموائد ، فقد كان اليوم يمثل وليمتها الأسبوعية الفاخرة ، فالكازينو النيلى الجميل كان عامرا زاخرا برواده شأنه دائماً فى ليالى الأحد ... والفضلات كانت ترى هنا وهناك فى كثرة ووفرة . فأقبلت عليها تلتهمها فى شهية ونهم حتى أتخمها الشبع فتكاسلت فى مشيتها تداعب الأرجل وتتسمع إلى أحاديث الناس وترقب جموعهم المديدة فى فضول . وطال مكثها تحت إحدى الموائد دون أن تظفر بعناية أو اهتمام أو حتى بلقمة صغيرة تلقى عفوا فرفعت عينيها الخضراوين لترقب ما يجرى على هذه المائدة الغريبة :

كان سطح المائدة نظيفا خاليا إلا من فناجين للقهوة وحقيبة من الجلد وقد جلس إليها رجلان قد خيم على وجهيها العبوس وبدت عليهما سيماء رجال المال والأعمال ... وأنشآ يتبادلان حديثا جديا ... قال الأول وهو يعض شفتيه .

— إن كرم اسحق قد قدم للمناقصة بسعر خمسة قروش ومليم للقطعة

— ومليم

— سيفوز بها ما فى ذلك شك

— وحليم سمعان

— خمسة قروش وأربعة مليمات

— عجيب ... لست أدرى كيف يفيد كرم اسحق من هذا المشروع بهذا السعر الضئيل

— خامات الجيش

— فعلا ... خامات الجيش

— لن يقل مكسبه الصافى عن خمسة آلاف جنيه

— ونحن نبيت ونصحو على خمسمائة جنيه فى الشهر .

— لقد فعلت كل ما بوسعى

— والنتيجة أننا لا زلنا نحيا كتسولى التجار

— إن مفاجأة كرم اسحق لم تكن فى حسابى

— عليه اللعنة

وهنا رشف الرجل الأول رشفة من القهوة ثم أبعد الفنجان قائلا

— قهوة رديئة

— ومع ذلك فالمكان مزدحم ... والإيراد حسن

— مشروع ناجح ... لقد فكرت فيه من قبل ، وكان فى نيتى أن أهيىء فيه حماما للسباحة فإن هذا يدر أرباحا حسنة فى الصيف حيث يقل مرتادوه فى حر النهار

— وهو يصلح « كباتيناج » فى أمسيات الشتاء الباردة

— أو « كباريه »

— إن المكان صالح للاستغلال فى كل أوقات السنة .

وسكت الرجل الأول ثم عاد يداعب مقبض الحقيبة الجلدية وقال متململا

— إن الجو راكد

— والمكان مزدحم

— وهذه الحيوانات القذرة لاتنقطع عن التمسح بالأرجل . يا للقذارة .

وركل القطة الصغيرة فى قسوة فولت هاربة ثم هب فى ملل ودفع الحساب واختفى مع زميله .

وراحت القطة تمسح رأسها الرضوض فى الأرض وتموء فى ألم ثم لجأت إلى مكان منطرف متعزل من الكازينو حيث يجلس على مائدة صغيرة فتى وفتاة ورفعت إليهما رأسا مريضا فألقى إليها الشاب بقطعة من الخبز وراح يدللها ويداعبها بقدمه ... فارتاحت القطة إلى هذا الحنان ولذ لها أن تستمع إلى الحديث الخافت وترقب العيون المتناجية . قال الشاب .

— إن الجو قطعة من السحر

— حقا ... ؟ إذن لن نجلس هنا مرة أخرى

— لماذا

— لأنك تذوب فى سحر الجو وتنسانى

— أيتها الحبيبة أنسيت أنك جزء من هذا السحر

— جزء

— بل كل هذا السحر

— إن حبك على شفتيك دائماً

— إن قلبي لا يسمعه ولذلك يفيض على شفتي

— ألا تخونك شاعريتك أبدا

— إنها ليست شاعرية بل شعور والشعور الصادق لا يخون ،

ولمعت عينا الشاب وهو يتكلم ثم رفع كأس البيرة ورشف منها رشفة طويلة ثم عاد يقول

— إن هذه البيرة جميلة ... جميلة كشفتيك

— يودي لو أعرف كم من ألوان البيرة تتذوق شفتاك

— مهما تذوقت فأنت اللون الوحيد الذي يسكرني

— إنك دائما تجيد الكلام ... إني أحبك ... ولكني أخشى على ثروتك التي تتبدد في سبيلي

— أيتها الحبيبة ... دعي شئون المال ... وهل يذكر المال والجمال معا ... إن المال هو العبد الذي يجود بكل شيء ... والجمال هو السيد الذي يرخص في سبيله كل شيء ... والحب ... الحب هو النافذة الوحيدة التي يطل منها الإنسان على الجمال ... إني أدفع مالي وروحي ونفسي لتظل هذه النافذة مفتوحة أمامي إلى الأبد

— أمين !

— بثينة !

وتلامست الأيدي واقترب الوجهان وامتزجت العطور الثالية في لحظة من الحنان الغامر فانسحبت القطة الصغيرة في سكون بعد أن أدركت أن هذين المخلوقين في حالة لا تسمح لهما بالالتفات إلى أي شيء ... وسارت تتثاءب وتتمطى بين الموائد ، ثم اجتذب انتباهها مائدة يجلس عليها شيخان قد ملأت وجهيهما التجاعيد وألقت عليها الشيخوخة ظلا من الهدوء والوقار ... فجلست غير بعيدة ترقب ما يدور بينهما وتتبع الحديث دون أن تفهم شيئا .

قال الشيخ الأول

— لقد رسب محمد في الحساب ... لا أدري متى يلتفت هذا الولد إلى دروسه ... لقد يئست من إصلاحه

— إن أولاد هذا الزمن جميعهم على شاكلته ... ولهم العذر ، إن مباهج هذا العصر وشواغله أكثر مما كان في أيامنا

— أيامنا ... ما أجملها ... لم يكن هناك من المباهج إلا الخيال الظل ... واللونابارك .

— والموالد ... هل نسيت أنك كنت من هواة الموالد .

— حقا ... وأذكر أنك وشيت بي يوما أيها اللعين ... وكانت « علقة » لا زلت أذكر أوجاعها .

— أرأيت أن ابنك له عذره

— ولكن هذا الكلب لا يصلي !

— ومن يصلي الآن غيرنا ؟

— وهو لا يفتأ يجادلني في الجنة والنار

— إن الحرية تؤدي إلى الحرية

— ما ذا تعني ؟

— فلسفة المجانين

— يعلم الله إلام نسير

— إن العالم بخير ... وكفى ... أما نحن فنسير إلى القبر

— إلى القبر ؟

— نعم ... أكنت تظن أنك تسير إلى « لونابارك » آخر .

— لا ... إنه القبر أيضا ... من يدري فقد يكون مكانا طيبا

— إنه راحة على أي حال

— راحة ...

واستبدت بالشيخ سبحة فلسفية ... فأرسل نظره إلى الأفق البعيد ... ثم أوغل في التفكير ... وثقلت أجفانه ... فمال برأسه ونام ... شأن المجانين ينامون في كل مكان ... ونظرت القطة إلى سكونه وأنفاسه البطيئة ... ثم انسحبت في اشمئزاز وهي لا تدري ما شأن هؤلاء الأموات بهذا المكان ... وأدارت رأسها فوجدت أن الكازينو قد خلا تقريبا إلا من أشباح قليلة متناثرة . ومن هذه الأشباح ... رجل جلس منفردا في نهاية المكان وهو يكتب ثم يمزق ما يكتب ... بأصابع عصبية ثائرة ... فاقتربت منه في حذر ثم لمست قدمه ... فانتفض غاضبا ودفعها بعيداً في قسوة ... وعاد يكتب ويمزق ... وتناثرت بعض القصاصات تحت مصباح منعزل ... فاقتربت القطة تتذوقها وتقلبها ... وتتأمل الخطوط السوداء العجيبة التي تملؤها ... وقرأت بلا وعي أوفهم

(إن الحياة التي أحياها ... خاوية ... باردة ... مظلمة

إنى لا أجد نورا ضيفا أسير فيه ... ولا أشعر بلذة أعيش من أجلها ... ولا بمخلوق واحد يهمنى أمره ... فالناس تتجنبنى وأنا أتجنبهم ... وقد أسمعهم يهتفون « ما أجل هذا» فأدير عينى فلا ألمس فيما يشاهدون جمالا ... فأدرك أننى ميت فى عالم حى ، وأشعر بالعذاب والنقص والحرمان وألوى وجهى لأنتحر ... ثم أعود فأجبن وأتردد وأرجع آملا أن أعيش كما يعيش الناس . ولكنى الآن سأختار المكان الذى يناسبنى ... نعم سأنتحر ... لن أتردد هذه المرة ... بل إنى لأشعر أننى قد مت من زمن طويل وأننى أسير كالآلة الصماء ... فاذا يضيرنى إذا أوقفت هذه الآلة البغيضة ... لن أشعر بأى شىء أكثر مما أشعر به ... نعم سأنتحر ... سأنتحر هنا فى هذا البحر الساكن الداكن ...)

وانتهت القصاصة عند هذه الكلمات ولم تجد القطة العابثة أى شىء يثير اهتمامها فى هذه الأوراق الممزقة فغادرتها وهى ترمق الرجل التعس الأحمر العينين وهو يغادر المائدة ويسير إلى الخارج فى عزم وتصميم ... ولم تعرف أين ذهب فأمره لم يكن يهمها فى قليل أو كثير .

وأدارت القطة عينيها مرة أخرى فى المكان فوجدت أنه قد خلا إلا من جماعة الندل والخدم ... وهؤلاء لم يكونوا يوما على علاقة طيبة معها ... فآثرت الاكتفاء بهذه السهرة الممتعة وولت وجهها شطر بيتها الدافىء اللين .

وفى الطريق شاهدت رجلا نحيلا ضئيلا يجلس فى ركن مظلم ، ودهشت عندما وجدته يلقى إليها بقطع كبيرة من الخبز واللحم . ولكنها لم تجد غضاضة فى أن تنتقى اللحم وتترك الخبز وراحت تدور حول قدميه وقد رفعت ذيلها فى سرور ... ثم انطلقت تموء حينما وجدته يقوم ويتركها ... ولكنه كان فى نفسه يحفظ لها جميلا كبيرا فقد أوحت له فى هذه الجلسة الحادثة بقصة لم يكن يحلم بها ... فبينما ذهبت تتنقل من مائدة إلى أخرى ترك عقله يسير فى خطواتها ... ورأى الحياة من عينيها كالكرة المضاءة تدور حول محورها ... وقد راح كل إنسان يرى منها وجها لا يراه الآخر ... شاهد فى هذه الساعات القليلة ما كان يحتاج لسنين ليفهمه ... شاهد نظرات الناس إلى الحياة ... وقد تباينت واختلفت ، وكأن كلا منهم يحيا فى عالم من صنعه ومن خلقه .

مصطفى محمود

الذوق الفني والطبع الأنيق

تجده فى :

الطبعة الجديدة العاشرة من كتاب

للأستاذ

أحمد حسن الزيات

وهى مزيدة منقحة

فى ٥٤٤ صفحة من القطع الكبير

وبآخرها ذيل لغوي يفسر ما غمض

من الألفاظ والتراكيب

النسخ المطبوعة محدودة

فبادر باقتناء نسختك قبل نفادها

من « دار الرسالة » بعابدين

ومن سائر المكتبات الشهيرة

وثمنه ٤٠ قرشا عدا أجرة البريد

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

دليل تليفونات الأقاليم طبعة أكتوبر سنة ١٩٤٧

يمكنكم أن تحجزوا الأماكن التى تختارونها للاعلان عن أعمالكم فى دليل تليفونات الأقاليم المزمع صدوره فى شهر أكتوبر سنة ١٩٤٧ .

والإعلان في الدليل المذكور له مزايا خاصة إذ يتجدد كل يوم طوال مدة سريان الطبعة ويتداوله آلاف المشتركين وبه أماكن خالية تستطيعون استئجارها بأسعار زهيدة

ولزيادة الايضاح اتصلوا : —

بقسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة — بمحطة مصر

مطبعة الرسالة